طلعت العسيلى

زيارة للحبيبة

بتصريح من المخابرات

كتاب طيوف سلسلة من إصدارات يسطرون

رئيس مجلس الإدارة

عماد سالم

الإشراف الأدبى

السيد حسن

مدير الإنتاج

أحمد عبد الحليم

المدير التنفيذى

هناء أمين

الطبعة الأولى
الكتاب : زيارة للحبيبة بتصريح من المخابرات
المؤلف : طلعت العسيلى
تصنيف الكتاب :نثر أدبى
تصميم وإخراج : مؤسسة طيوف
المقاس ١٤ × ٢٠
رقم الإيداع : ٢٨٥٣٤ / ٢٠١٧
الترقيم الدولى : 2 - 586 - 776 - 977 - 978

العنوان : ٢٩٨ شارع الملك فيصل - محطة ضياء

Email : ketabtoyof@gmail.com

موقعنا على الفيس بوك : كتاب طيوف

جميع الحقوق محفوظة

إهداء

الحياة حديقة ملأى بالأشجار والأزهار والطيور، تتساقط الأوراق وتذبل الورود ثم تنبت من جديد، سماء وأرض، شمس وقمر ، رحلة حياة، وأناس محيطون

تكتسب الذات مكونات الشخصية لتكون أنت وهو وأنا وهم

"زيارة للحبيبة بتصريح من المخابرات"

أهديه لكل من كان له الأثر فى تركيبتى وتكوينى الشخصى

وهى الحديقة التى تعطرت بأبى وأمى وأخى محمد ويوسف طيب الله ثراهم

وإخواتى بارك الله فى حياتهم وزوجتى وأولادى وأحفادى

طلعت العسيلي

يفتح أسرار خزائنه الخاصة

هذا نص أدبي خاص، اختار منطقة التخوم بين السيرة الذاتية والإبداع الأدبى وأنشودة الحنين إلى المكان.

وهو في الحقيقة يقدم عناقاً مدهشاً بين الخاص والعام، فتاريخ مدينة بورسعيد لا يخص الكاتب وحده، بل ولا يخص المدينة وحدها، إنه يمثل صفحة بالغة التميز من صفحات التاريخ المصري والعربي الحديث، بل ولا أظنني سأكون مغالياً إذا قلت إنه يمثل صفحة مهمة من صفحات مسيرة الأحداث على مستوى العالم فى العقود الوسطى من القرن العشرين.

وإذا أردت آية من آيات هذا العناق الحميم بين الخاص والعام، فانظر إلى العنوان الذي يتحدث من ناحية عن الحبيبة ومن ناحية أخرى عن المخابرات، فهذا المزج المدهش سوف يقول لك منذ البدء إنك أمامهما معاً: حبيبة الكاتب التي تخصه هو، والتي تمثل قمة

الخصوصية والحميمية، والمخابرات العامة التي تحمل معاني لا تخفى عن القاريء الكريم.

وميزة هذا النص أنه يصور لنا مشاهد قلمية كتبت بزخم كبير من المشاعر والأحاسيس، مشاعر وأحاسيس مختلطة : محبة جارفة، ومعاناة قاسية، حنين جميل، ومصاعب جمة، تفصيلات حياتية بالغة الدقة، ومعان وطنية بالغة العمق، كل هذا في لغة تقبس من الشعر بعض ما فيه من طاقات الخيال والحلم، وتأخذ من القصة بعض ما تحويه من طاقات الدراما المذهلة.

طلعت العسيلي يفتح أسرار خزائنه الخاصة، ويدعونا إلى أن نعيد تأمل تفاصيل مرحلة التهجير من مدن القناة، صحيح أن كثيرين منا عاشوا بعض فصول هذه المرحلة أو سمعوا عنها، لكن ليس من سمع كمن رأى، وليس من رأى كمن ذاق وعايش وتألم وعانى وأحب حتى الذوبان.

والحقيقة أنه حين يفعل ذلك، يستحضر كل مكوناته الإنسانية والثقافية، فترى فيه وجوهاً عدة، فهذا هو وجه الشاعر المتيم بمحبوبته المدينة، وهذا هو وجه الوطني الذي يعرف خصوصية اللحظة والقضية والمدينة، وهذا

هو الحكاء الذي يشعل دهشتنا ويثير شغفنا، وهذا هو رجل الاجتماع الذي يعرف كيف ولماذا يتشكل الوجدان الجمعي، حين يصبح الكل في واحد، و هذا هو وجه عاشق علم النفس الذي يحاول أن يسبر غور النفس الإنسانية ويعرف ما خبيء في أعماقها.

إننا باختصار أمام تجربة فريدة من زوايا عديدة، آمل أن تلقي ضوءا كاشفاً على صفحة مهمة من صفحات الوطنية المصرية لا في سياقها العام فحسب، بل في سياقها الحياتي الإنساني الحميم.

الشاعر والإعلامي

السيد حسن

زيارة للحبيبة بتصريح من المخابرات

العام - ١٩٦٩

بعد البعاد لما يقرب من عامٍ ونصف العام .. القلب والعقل يخالجان الوجدان ويعتصران ألماً على فراقها، فهى الحبيبة المتيمة والمعشوقة، هى بدر البدور، وهى فرحة الطفل بالعيد، هى من انتُزعت منها وانتُزعت منى فى مشهد لا يمكن نسيانه، بل بالأحرى لن يغيب يوما ما عن ذاكرتى.

هذا المشهد العصيب الذى عايشه أبناء جيلى عندما صدر الأمر العسكرى بمغادرة الباسلة بورسعيد بعد امتحان نصف العام الدراسى، والذى اعتمدته الوزارة بأن يكون هو نفسه آخر العام.

مغادرة عشوائية لم ترتب لها الدولة .. تماما كانسحاب قواتنا من سيناء بعد نكسة ٦٧ الكل يهرع إلى المحافظات والمدن القريبة قاصداً قريبا أو أحد المعارف أو هو لا يعرف هذا أو ذاك .. حاملين أمتعتهم و منقولاتهم الضرورية على سيارات النقل، كل أسرتين أو ثلاث مع بعضهم.

ولأن أخى الذى يكبرنى بتسع سنوات كان قد التحق بالعمل بمصانع الطائرات بحلوان، وكان يقطن مع زميل له بشقة صغيرة، فقد استأذن منه بمغادرتها لاستقبالنا .. الأخ الأكبر باقٍ فى بورسعيد بأمر إدارى من المحافظ ضمن الجهاز الإدارى للمدينة، والأخ الأوسط بالجيش، والوالدة وأختى التى تكبرنى وأخى الأصغرهاجروا إلى حلوان .. هكذا كان الحال مع كل المهُجّرين، ولكن منهم من وجد مكانا لدى قريب أو معرفة و منهم من أُدخلوا للعيش فى المدارس المختلفة فى أنحاء المدن والقرى، كل عائلتين أو أكثر فى فصل واحد!!!

الكل يعانى المعيشة حسب الوضع الذى فرض عليه .. خراب بيوت .. تمزيق عائلات.

من سوء حظى أنى ابتعدت جغرافياً عن تجمعات أهل مدينتى، فالتجمعات تتيح التزاور واللقاءات وتحافظ على الحميمية فتستعيض بهاعن فراقك عن أرض الذكريات، هذا ما وجدت فى القاهرة وبالذات فى مدينة نصر، حى رابعة وحلوان والمناطق القريبة من طريق مصر السويس ومصر الإسماعيلية، حيث قصدها

المهجرون السوايسة والإسماعيليون و بعض من أهالى سيناء.

أنظر لمن هم فى مثل سنى فى تجمعاتهم ولعبهم، وتقطر عيناى الدموع لفراق أصدقائى وأحبابى وكل ذكريات الطفولة و الصبا .. مشتاق لهواء وشمس ولمس حبيبتى، والخطى على أرض ذكريات المراهقة من مدرسة الحب البرئ (س) مئات الأمتار التى كانت تستغرق بضع ثوانٍ قبل الدخول في منطقة الخطر. وكأن الساعة قد انتُزع منها عقرب الدقائق ..يحضر أخى كل شهرمن بورسعيد لزيارتنا فنتعلق فى رقبته تقبيلا وأحضانا ونشتَم رائحتها فى طيات ملابسه ونقول: إزى بورسعيد .. عاملة إيه شكلها إيه؟ فيضحك بكبريائه باكيا: كويسة كويسة بتسلم عليكوا

ويرفع هامته لأعلى حتى لا نرى دموعه، ونرى كبرياءه، فهو الأب بعد فراق الوالد عام ٦٤.

-عايز آجى معاك لبورسعيد يا آبيه محمد ..

- ما ينفعش يا طلعت عشان إحنا فى حالة حرب والقصف بيننا وبينهم لا يتوقف .

أعتصر ألماً و أنصرف من أمامه حتى لا يتأثر بى .. أواه أواه على الفراق، لكن الوالدة تتحمل فى ثبات كل هذه الدراما الإنسانية وتلمح بطرف عينها معاناتى دون أن تعبر عن شعورها المعذب.

جاء الفرج

يخبرنى أخى بمصانع الطائرات عن رحلة تابعة للمصنع لمدينة رأس البر وأنه سيصحبنى معه ومن هناك سيحاول جاهدا من خلال قيادة مرموقة بالرحلة الحصول على تصريح من مكتب المخابرات لدخول بورسعيد.

وبالفعل بعد الوصول لرأس البر تمت المحاولة وحصلنا على تصريح الدخول وبدأت الرحلة إلى بورسعيد ..المسافة ٥٠ كم تقريبا، والزمن لا يستغرق ثلاثة أرباع الساعة .. نستقل الأتوبيس .. تتسارع دقات قلبى رويدا رويدا .. الطريق يطول لمئات الكيلومترات والزمن لا يتحرك، فالدقيقة تعادل ساعة افتراضية .. نقف فى أكثرمن نقطة تفتيش على أحر من الجمر .. كل ما فى ذهنى أننى سأنزل من الباص لحظة وقوفه فى آخر نقطة تفتيش لأطراف المدينة لأحتضن الأرض .. كل الركاب فى حالة وجوم، كل لسان حاله يشعر بما أشعر، كنت أتلفت يمينا ويسارا .. أنظر لوجوههم الحزينة.

حضن الأرض

لم يكد الباص يقف فى آخر نقطة تفتيش حتى أخذت وضع الاستعداد، وتأتى سيارة نقل يركب على حاويتها بعض من الناس، يقفز من على حاويتها العالية صبى فى نفس سنى ويحضن الأرض ويتمرغ صارخا باكيا: يا حبيبتى يا بورسعيد .. يا حبيبتى يا بورسعيد .. يحدث لى انهيار عصبى فى تلك اللحظة، وأثناء غيابى عن الوعى أرى وجه أخى يبكى ووجوها تبكى وأسمع من بعيد أصواتا متداخلة فيما يشبه الحلم أو الكابوس تقول: لاحول ولا قوة إلا بالله لا حول ولا قوة إلا بالله!

أستفيق بعد عدة دقائق من البكاء مغمضا عينى على آخر لقطة للصبى الذى احتضن الأرض سائلاً عنه، فيجيبون:

- بقى كويس .. بقى كويس، كفاية بقى يا ابنى احنا دخلنا خلاص بورسعيد .. قوم شوفها حلوة إزاى!!

إن شاء الله هننتصر ويرجع كل المهاجرين تانى لبلدهم وبيوتهم و يتلم شملنا .. أنظر إليهم وأراهم كأننى أنظر من خلف زجاج تجرى على سطحه قطرات من المطر الغزير، فسيل الدموع منهمر والتنفس مرتبك ما بين ألم وآه وشجن وحنين.

أتمالك نفسي، وأخى الذى اصطحبنى لهذه الزيارة يضحك بنصف وجهه السفلى .. باكيا بنصفه العلوى: لو سمحت ممكن ننزل هنا؟

يرد السائق وبعض الركاب: لسه شوية على الموقف .

معلش عايز أمشى على رجليّ عشان أشوفها من بدايتها.

- حاضر يا ابنى ألف حمد الله على السلامة، خلوا بالكم ساعة الغارات!

- ربنا الحارس سيبها لله يا اسطى.

نعلم من وسائل الأخبار المختلفة أن عمليات عبور فدائية تتم على شرق القناة بنجاح و عودة أبطالنا سالمين ..

حرب الاستنزاف على أشدها .. نتائج ملموسة مُرضية ولكن خسة العدو الصهيونى تستهدف المدنيين، ومن أقبح ما قامت به الطائرات المعادية قصف مدرسة بحر البقر وأبو زعبل، ولكن المصريين بعنصريهما يتماسكون مرددين" الله أكبر".

شجرة الخروع

يستمد منها البورسعيدية الأمل الأخضر فى الأفق البعيد ..استلفت نظرى أن ما من شارع أو حارة إ لاوقد غرس بذرة شجرة الخروع التى تنمو فى أى ظروف بيئية فضلا عن أنها تطرح بذورا داخل جراب يشبه نبات البازلاء، وبكثرة نجدها فى المستشفيات، فهى سريعة النمو ومتاح التقاطها وغرسها حتى أنها نمت داخل جانبي حفر إسفلت الشوارع الذى خلّفته شظايا الصواريخ والقنابل، فكل ما يفعله البورسعيديون وضع البذرة وسقيها بالماء.

ياه .. الشوارع تبدو ضيقة و المسافات أصبحت أقصر والبيوت التى تركتها عالية قد قل ارتفاعها ..الشوارع خالية من المارة بعضها قد تعرض للقصف بالقنابل و انهار وبعضها أصابته شظاياها .. أكوام القمامة نادرة، فالكلاب والقطط والفئران يرزقون سويا من نفس الكومة لأنهم تآلفوا فيما بينهم فى مشهد عجيب .. الكلب يبعد قليلا، بينما الفأر يكاد حجمه يقترب من القطة لا يخشاها ولا هى مكترثة بأمره .. حى العرب الذى يتميز

بالطراز العربى بتراسيناته المحملة على أعمدة من الخشب المحلى بالزخارف و ستائر أرابيسكية تتيح دخول الضوء والشمس والهواء للمنازل وتحميها من جرح رؤية ساكنيها لبعضهم .. كل خمس أو ست شوارع حتى نرى مارا من هنا أو هناك ينظر لنا و يومئ برأسه رافعا يده مؤديا تحية لسلامة الوصول .. طبعا فها هم المستبقون فى المدينة وقد عرف كل منهم الآخر على مدار عام ونصف وبمجرد ظهور زائر فسيظهر لهم جلياً لأن وجهه غير مألوف.

نقترب من شارعنا ويعود القلب متسارعا بنبضاته العشوائية، فها هى قدماى تطأ خط سيرى من و إلى مدرستى، وها هو بائع السمك محله مغلق، وهاهوالفرن الذي يشوى والبقال و اللبان و .....سكون وهدوء يصور لى جبانة بورسعيد، فالكل راقد فى سلام إلا من بعض الزائرين هنا وهناك، و لكن شجرة الخروع تبعث الأمل المحتمل فى الأفق البعيد.

ألمح بعينى من بعيد على امتداد البصر بلكونة (س)، أتوقف لأستبين ما أصابها، فقد طالتها بعض الشظايا

واخترقت إحداها غرفة نومها .. أنتظر لبرهة أن تطل إطلالتها من خلف الستارلتلوح بيدها الخجولة باى باى، ولكن هيهات هيهات!

أين أنت الآن يا (س)؟ فى أى محافظة هاجرت أسرتك؟ الله أعلم .. يبتعد عنى أخى بضعة أمتار ويتوقف لإحساسه بأنى لست أسير بجواره

و يلتفت وراءه .. إيه يا طلعت وقفت ليه؟ ينتابنى الحياء و يمنعنى من مصارحته أننى أنظر لبيت (س) ، ففارق السن بينى وبينه لا يتناسب بأن يعلم أنى فى حالة تجربة عاطفية .. أستفيقلأ رد عليه: لا لا يا أبيه دا أنا كنت بابص على بيت يعقوب صديقى..

- آه دا أخوه الكبير كان صاحبى وأبوه كان أعز أصدقاء بابا الله يرحمه ..

و نواصل السير.

عم جرجس يجلس مع أصدقاء ليسوا من الحتة يرانا من بعيد، ينهض منتفضا : يا على يا حسن شايفين مين اللى

جايين دول .. دا ممدوح العسيلى واخوه طلعت .. يا حبايبى يا حبايبى بالأحضان ربنا يرحم أبوكم، أخبار الوالدة و أخواتكم إيه؟ (أحضان) و ..... دا لسه محمد أخوكم رايح يجيب سمك و جاى على طول .. أهو جه أهو .. يا محمد أفندى يا محمد أفندى أنا طالع أزود الرز .. هاولع عليه (البابور) و اسلق الجمبرى ونقعد نتغدى تحت الترسينة .. محمد أخى المستبقى: حمدا لله على سلامتكم .. بالأحضان يا حبايبي، خلاص يا طلعت آدى إنت جيت بورسعيد آهو .. سيب طلعت بقى يا ممدوح عشان يشبع منها وسافر إنت وهو يقعد معايا وننزل مع بعض فى الأجازة بتاعتي.

دخلنا مدخل البيت، تتجول عيناى فى كل درجة سلم، وكل علامة على جدرانه فيها كل شئ لم يتغير حتى عبقه و ريحته .. شهيق عميق لا يسهل مأمورية التنهيدة، نضع شنطة السفر وننزل للغداء، ثم أتجه مع أخى ممدوح للبحر أخلع ملابسى وأجرى على الأصداف التى غطت الشاطئ والمتراكمة على مدى عام و نصف، غير عابئ بما قد تسببه لي من جرح قدماى حتىلا مست المياه فيضحك لى البحر و يناجينى مناديا، بالأحضان اسبح يا عم بكل أمان ..بصوتٍعال

ملوحا بكلتا يديه : ياللا كفاية كده إنت هتبات هنا واللا إيه؟

ومع" شمس الأصيل "التى فردت أشعتها على سطحه وبدأت تتلاشى من فوق أسطح البيوت أسمع بذاكرتى أم كلثوم: شمس الأصيل .. دَّهبت خوص النخيل يا نيل، فتبعث فيّ الأمل المحتمل والثقة فى الله وفى قواتنا المسلحة بأن النصر آتٍ لامحال .. آخذ من شط البحر حفنة من رماله الذهبية الغالية فى زجاجة كنت قد أعددتها لذلك للعودة بها إلى" القاهرة الساحرة."

العام ــ ١٩٧٣
والنصر المبين

وبعد ٢١٦٥ يوم عداً على أوراق قطفتها يوما تلو الآخر من ست بلوكات لنتيجة كل عام، تجرعت مصر وشعبها العظيم المرار، هو صديد نكسة١٩٦٧ ، وتجرعت محافظات إقليم القناة علقم و عذاب التهجير الإجبارى الذى كان بمثابة انتزاع لظفر من الجسم . وبعد عام الحسم يليه عام آخر للحسم و الذى - هكذا كان الزعيم القائد أنور السادات يقول - والذى كان أيضا من ضمن خطة الخداع الاستراتيجى الذى جعل إسرائيل تشعر بأن مصر تخدع شعبها وتنومه مغناطيسيا ليرتضى حالة اللا سلم و اللا حرب.

تضمنت خطة الخداع الاستراتيجى عدة إجراءات غاية فى الدهاء .. دهاء القائد الثعلب وجهاز المخابرات غير التقليدى .. منها التصريح لعدد كبير من الضباط بأداء عمرة شهر رمضان الكريم .. تحرك بعض من جنودنا فى عدة مواقع على جبهة القتال غرب القناة " أمام العدو على الضفة الشرقية، تظاهروا بمص عيدان

القصب مما يعكس للإسرائيليين أن القوات فى حالة استرخاء و لهو ، هذا فى الوقت الذى فرض الوضع نفسه على الجنود المصريين و الإسرائيليين التعارف على بعضهم البعض نظرا لطول مدة الجوار، فالمسافة بين ضفتى القناة فى بعض النقاط لا تزيد على مائة وخمسين مترا ؛ مما أتاح لهم أن يعرفوا أسماء بعضهم البعض، فينادى الجندى مصطفى على الجندى كوهين كل منهما على الآخر: شالوم أو تحية مصرية من تحت الضرس.

و الأدهى من ذلك فى خطة الخداع الاستراتيجي أن يوم السادس من أكتوبر كان يوم عيد " كيبور " عند الإسرائيليين فكانوا مبتهجين و"مرحرحين. "

تم اختيار ساعة العبور بعد دراسة مستفيضة، فمن المألوف فى الحروب أن يكون الهجوم مع أول ضوء وآخر ضوء، و لكن الاختيار تم بناء على حسابات المد والجزر وتوقف حركته ما بين هذا وذاك؛ أى وقت استكانة المياه عن الحركة مما يتيح لسلاح المهندسين مد رؤوس جسور الكباري التى ستعبر عليها العربات والمدرعات و الدبابات و الإمدادات للضفة الشرقية المحتلة.

وكانت الضربة الجوية المباغتة بقيادة اللواء طيار"حسنى مبارك " التى أجهضت سلاح الجو الصهيونى ثم الضربات المكثفة للمدفعية على طول القناة، ثم مد الجسور والعبور العظيم .. محمد وجرجس فى نفس واحد: الله أكبر .. الله أكبر.

ما أجملها من ذكرى !ما أجمل النصر !

صدرت البيانات العسكرية الواحد تلو الآخر بتدمير و تطهير خط بارليف الحصين، ورفع العلم المصري .. كل المصريين يبتسمون كل منهم للآخر و كأنهم يعرفون بعضهم البعض .. و لم لا؟ فقد اختلطت دماء محمد بدماء جرجس، وقد حمل الجندى مترى زميله الجندي مصطفى فى ساحة القتال.

سنوات عجاف مررت بها وأبناء جيلى، وانتصرنا .. سنوات عجاف نمر بها، و سننتصر لتحيا مصر .. تحيا مصر ..تحيا مصر

جِنية في بحر العيون

مقدمة:

فى يوم من ذات الأيام كان لى موعد مع بعض الأصدقاء القدامى اللذين لم أرهم منذ سنوات، ولكى تتسم المقابلة بطعم الذكريات التى مرت عليها تلك السنوات، اقترحت عليهم أن تكون فى أحد الكازينوهات التى تطل على منطقة ذات طابع جمالى على نيل القاهره .. وفى يوم المقابلة انصرفت من منزلى قبل الموعد بساعتين حتى أتواجد قبلهم وأكون فى استقبالهم، أجلس أتأمل جمال الطبيعة مع فنجان قهوة .. وبينما أنا أنظر لصفحة المياه تأتى فتاة وتفسح كرسى من على المنضدة التى أمامى لتحول بينى وبين صفحة المياه وقد لفتت انتباهى وهى تنظر إلى الاتجاه الذى يأتى منه رواد الكازينو بشغف مما يدل على استعجالها لأن يمر الوقت ويأتى بمن تنتظره على شوق، وما لبث أن مر على هذا الانتظار ما يقرب من عشر دقائق شعرت من توترها أنها عشر ساعات، حتى أتى شاب وسيم، ممشوق القوام، خفيف الحركة ليسحب كرسيا من على

نفس المنضدة ويجلس أمامها، فتتنهد، وما كدت أسمع صوت شهيقها ودقات قلبها وتمتد يداهما لتلامس أناملهما الأخرى فى خجل وصمت .. التفت الشاب يمينا فوجدنى بمقابلته أنظر باتجاهه، فقد حجب هو الآخر المنظر الطبيعى الذى كنت أشاهده، وقد لفت نظرى أنه -ما شاء الله - قد حباه الله بعينين زرقاوين زرقة البحر فى صفائه، فتحول تأملى من النظر إلى جمال الطبيعة إلى جمال آخر، وهو حسن الخالق فى عباده .. وقد شدتنى نظرة فتاته إليه، بل وبالتحديد إلى عينيه، لا بل زرقة البحر فيهما فرأيتها تغرق فى بحرهما وتخيلتها (جنية فى بحر عيونه).

ولأنى دائما ما أحمل فى جيبى ورقة وقلما فكثيرا ما تجيئُنى خاطرة أو فكرة تفتقت من إلهام أو تصور لحالة ما فسرعان ما أقوم بتسجيلها .

وجدت نفسى وقد تحول القلم إلى كاميرا تصوير تحت الماء وقد أخذتنى قدماى لتغوص بى فى البحر الأزرق الصافى ليكون هذا التأمل فى حكاية "جنية فى بحر العيون" :

قصيدة

جنية في بحر العيون

سلم عليّ الواد

وبكل حنية

داس على إيديّ

من حلو قسوتهم

غارت إيدي التانية

يا دوب فاتت ثانية

دابت في حلاوتهم

سحب إيديّ عليه

قلبي غرق فيّ

راحت عينيّ عليه

و عينيه راحت فيّ

زرق العيون صافي

موجهم لطيف هادي

تهت ف صفاء بحرهم

عايمة على سطحهم

لقيتني باسبح فيه

وانا شايفه نن عينيه

طيفهم شعاع ألوان

زي القزح ما يبان

جايب نسيم دفيان

خيالي هيأ لي

إنه شعاع شمسهم

جت من بعيد موجة

لفت حواليّ

ساب شعري على ضهري

و مسكت لي رجليّ

لقيتني باتحول من واحدة انسانة

لواحدة جنية

شايفه السمك ألوان

بيلف حواليّ

فجأة ولاقيت حاجة

قابلتني جوه البحر

إنسانة بتبص لي

على شكل جنية

قربت وسألتها

إيه اللي جابك هنا

ضحكت وقالت لي

اللي حصل ليكِ

نفسه حصل ليّ

قلت لها احكي لي

ردت وقالت لي

سلم عليّ الواد و....

وقبل ما تكمل باقي حكايتها

رجع لي تفكيري

بصيت حوالي

ما لقيتش إنسانة

ولا حتى جنية

ولقيتني باطلع فوق

وعمُت لما وصلت

على ضفة المية

لقيتنى مش داريه

وفي حضنه مرميه

وفُقت من حلمي

وقُلت له كفايه

وابعد عينيك الزرق

تبص في عينيّ

أحسن أدوب تاني

واغرق فى بحر عينيك
خايفة تغرقني
والاقيني باتحول
من واحدة إنسانة
لواحدة جنية

سبحانك يا رب

لو أني رأيتها بمفردي ما كنت لأرويها

أنعم الله علينا بعمرة رجب عام ١٩٩٥ أنا و والدتى- رحمة الله عليها- و زوجتى و أبنائى .. وقبل المغادرة بيوم من بورسعيد قال زميل مقرب لابنى محمد ويدعى عبد الله: على فكره يا عسيلى بابايا وجدى سافروا يعملوا عمرة من يومين وإنت هتشوفهم في المدينة. روى لى ابنى ما قاله له صاحبه عبد الله وكان والد عبد الله يحب بالطبع محمد بالتبعية كما يحبه ابنه .. أنا لم ألتق أبدا بعبدالله ولا بوالده.

فى المدينة

أثناء دخولنا للمسجد النبوى قال لى محمد بعفوية و براءة : بابا إحنا مش هنشوف بابا عبد الله؟

- يا حبيبى نشوف مين إنت مش شايف البشر قد إيه ما شاء الله !

أدينا صلاة العصر وخرجت ومحمد إلى الساحة .. محمد يجرى أمامى ثم يعاود يلهو ويلعب ويحاول الانزلاق على رخام الساحه الأملس، وبينما هو يبعد عنى بأمتار قليلة أشاهد أمامى رجلين يلحقان به وقد علت الابتسامة وجهيهما ويحاولان الاختفاء وراءه

ويقولان : فيه حد هنا اسمه محمد العسيلى من بورفؤاد و من مدرسة آمون؟

أيقنت أنهما والد عبد الله وجده !! وقفت فى دهشة أراقب لحظة التقاف محمد ولحظة نظره إليهما ..

- بالأحضان.

الرجل يرتكز على ركبتيه معانقا محمد، و محمد يقول بكل ثقه : عبد الله قال لى هتشوف بابا

ويكرر و يكرر .. ينظر إليّ محمد و يقول لى: مش أنا قلت لك يا بابا؟ صدقت بقى.

نتعانق أنا ووالد وجد عبد الله فى اندهاش فى أول لقاء و تعارف بيننا.

فى مكة

بعد أداء مناسك العمرة بيومين وقبل صلاة العشاء بالحرم .. فجأه تتعالى أصوات المصلين والعيون معلقة لأعلى: الله أكبر الله أكبر .. ما شاء الله ما شاء الله.

يمر سرب من الحمام ويُحدث صوتا كحفيف النخيل

و دون أن يحرك جناحيه وكأنه شئ من الفضة اللامعة البراقة، يظهر فجأه ويتلاشى (لا يختفى و لكنه يتلاشى). بعد الصلاة، المصلون يكبرون لمشاهدة هذه الظاهرة الجميلة ويتحدثون عن أنها تحدث على فترات من الزمن.

نتجمع أنا وأسرتى خارج الحرم للذهاب إلى الفندق، وأثناء ترجلنا نشاهد بين الطرقات مجموعات مجموعات من الناس ينظرون إلى السماء، ونمضى فى سيرنا لنرى مجموعات تنظر إلى السماء وتُكبر .. نحاول أن نشاهد ما ينظرون إليه و لكن يتعذر ذلك .. اقتربنا من إحدى المجموعات وسألناهم: على ماذا تنظرون؟

يجيب أحدهم : ركزوا جيدا فى هذا الاتجاه !!! ماشاء الله وسبحان الله والله أكبر .. إنه المسجد النبوى يظهر فى سماء مكة المكرمة وقد حالت ما يشبه سحابة شفافة بينه وبين ناظريه؛ لتنفذ أضواؤه من خلالها .. حاول بعض المشاهدين النظر إليه بنظارات التليسكوب ولكنهم لم يتمكنوا من ذلك .. لو أن هذه الأشياء حدثت لى بمفردى ما كنت لأرويها و قد شاهدناها جميعا بفضل كرمك علينا يا الله.

تحية واحترام

مع ارتفاع درجة الحرارة والرطوبة طول اليوم و السهر حتى صلاة فجر أمس، وبدون ترتيب لرحلة صيد مع أصدقائى حيث إن الرحلة لابد لها من ترتيبات، وجدت نفسى أجهز معدات الصيد لأتوجه بمفردى لمكان من أماكن الصيد التى أرتادها .. ولأنى تركت سيارتى بالقاهرة فقد استقليت (تاكسى) لتوصيلى للمكان .. وأثناء توصيلى بدأ السائق الشاب فى تجاذب أطراف الحديث معى ..

- هو حضرتك بتحب الصيد؟

- أيوه باحبه جدا

- بس ده تعب على حضرتك، دا أنا باشوف ناس كتير بيصطادوا وأقول فى نفسى طب ليه ما بيوفروش مجهودهم و تعبهم و يشتروا السمك أحسن لهم!

و كأنه يوجه السؤال لى بطريقة تبدو مهذبة، فقلت له إن تكاليف الصيد نفسه تفوق القيمة المادية للسمك فى الغالب ولكنها لا تمثل قيمة مقابل متعة الصيد، كما أنى

أثناء تركيزى فى عملية الصيد وبتلقائية أجد نفسى أقرأ ما تيسر لى مما أحفظه من القرآن الكريم وهذا فى حد ذاته يجعلنى أشعر بالارتياح. فوجدته وقد بدا على ملامحه التأثر لشئ ما وقد اغرورقت عيناه بالدموع،

و لم أشأ أن أسأله ما سبب ذلك ولكنى استشعرت أنه شاب ملتزم قريب جدا من الله ..

- هو انت بتشتغل على التاكسي ده واللا بتاعك؟

- ده بتاع والدى باستلمه منه وردية آخر الليل، أنا مهندس زراعى بس حضرتك عارف الحالة و تكاليف المعيشة.

- إنت متجوز؟

- وعندى اتنين.

- ربنا يخليهم ليك ويعينك على تربيتهم، وأنا أحييك إنت شاب محترم.

تبادلنا الحديث فى عدة أمور وكأننا نعرف بعضنا البعض من زمن .. وصلنا لمكان الصيد الساعة ٤. ٥ فجرا..

- شكرا يا باشمهندس، اتفضل الحساب.

- خلى حضرتك.

- شكرا يا حبيبى

- خلاص بقى مافيش فكة

- طبعا لا المكان و لا الزمان يتيحان البحث عن فكة، خلاص يا حبيبى خلى الباقى

- لا لا الباقى كتير، ده أكتر من الأجرة خمس مرات.. شكرا لحضرتك شكرا لحضرتك.

وانطلق كما لو كان يهرب منى .. وقفت أدقق فى رقم سيارته لألتقطه ولكن ظلمة المكان لم تساعدنى وأنا أتعجب من تصرفه الرفيع.

جلست أجمع فى ذاكرتى تفاصيل وجهه و ملابسه ربما نلتقى فى يوم ما وقلت لنفسى: ليه بس كده! نلتقى أنا وهو ويمتنع عن أخذ أجرته و رزقه الذى يسعى عليه! وطوال المدة التى قضيتها فى الصيد وأنا أفكر فيه. رجعت إلى منزلى فى الساعه العاشرة صباحا ومكثت حتى المساء ثم خرجت لزيارة أخى وقضيت معه ساعتين وانصرفت لأتوجه لمنزلى، واستقليت (تاكسى)

- إتفضل الحساب

- لا .. والله مامعييش فكه

- وبعدين بقى الموقف ده حصل معايا الفجر!!

ونظرت للسائق .. سبحانك يا رب هو نفس الشخص الذى أوصلنى .. لم أصدق نفسى فأنا لم أنظر لتفاصيل وجهه إلا عندما قال لى مافيش فكه .. ضحكت ضحكة عميقة، فتعجب هو منى وابتسم و قال فى أدب:

- حضرتك بتضحك ليه؟

لأنك إنت اللى وصلتنى الفجر

- بجد!! والله ما عرفت حضرتك لأنك كنت لابس كاب.

ومكثنا أنا وهو نضحك .. إنها محاسن الصدف

ومحاسن خلق هذا الشاب .. قلت: روح عند الماركت ده عشان نشوف فكه عنده ده ربنا عمل كده علشان تاخد حقك بتاع الفجر وبتاع دي الوقت، أقسم الشاب وأبى أن يتقاضى أى شئ، لدرجة أن المارة كانوا على وشك التدخل بيننا وهم ينظرون ويبتسمون .. قلت له:

- انتظرنى دقيقتين و اوعدنى إنك مش هتمشى.

وصعدت إلى منزلى وفتحت الثلاجة و وضعت السمك الذى قمت بصيده بعد الفجر، ولحسن الحظ أنه كان وفيرا وقيمته المادية تتعدى قيمة الأجرة، فقمت بإعطائه إياه بعد معاناة و قلت له: ربنا جعلنى أذهب للصيد و قد استمتعت به وهذا يكفينى وكان من رزقك أنت لأنك إنسان خلوق ومحترم وتسعى على رزقك بالحلال .. قال : مش عارف ليه حاسس إنك قريبى وأعرفك من زمان يا عمو.

شكرا يا باشمهندس يا سائق التاكسى.

استأثرت بى عشرين عاما

و فى لحظة قتلتها

فى ليلة من ليالى الشتاء القارص عام ١٩٩٠ أجلس فى سهرة عمل مع أحد رجال الأعمال، وكان رئيسا لمجلس إدارة أحد أندية كرة القدم ببورسعيد، لإنهاء حسابات و تقفيل شيكات لمسحوبات من الشركة التى كنت أعمل بها كمدير للمبيعات لبعض معارضه الشهيرة فى مجال مستحضرات التجميل والبارفانات العالمية وحيث إنه كان دائما ما يأتى لمكتبه فى وقت متأخر من الليل فقد مكثنا فى مفاوضاتنا التى تخللها تناول بعض المشروبات الساخنة وقد تعبأ المكان بدخان السجائر، إلى أن أشارت عقارب الساعة إلى الثانية بعد منتصف الليل حيث انتهت السهرة، وكنت قد تركت سيارتى بجوار منزلى ببورسعيد بسبب عدم قيام موتورها متأثرا بضعف بطاريتها حيث البرد الشديد .. غادرنا المكتب ليتجه كل منا لمنزله و لكنه لاحظ عدم وجود سيارتى، فأصر على أن يوصلنى لمنزلى القريب من مسجد

صالح سليم حيث تتكلم الرياح المثلجة الآتية من البحر تلفح آذاننا فى سكون الليل بصوتها المخيف الذى يدعو إلى التعجل للدخول لمدخل العمارة و الصعود بالقفز متخطيا ثلاث درجات فى كل قفزة على سلالمها ممسكا بالمفتاح ويدى تسبقنى لوضعه بباب الشقة لأحتضن دفئها، وفى لحظات وجدت نفسى داخل شقتى ومأواى فأغلقت بابها بهدوء حتى لا تستقيظ زوجتى وأولادى من سباتهم الدافئ العميق.

أخذت حماما دافئا ليطرد عن جسدى ما تخلله من صقيع وأعددت لنفسى كوبا من الشاى، ولأنها استأثرت بى عشرين عاما فأنا لا أستطيع الخلود إلى النوم أو النهوض من سريرى إلا وقد دخنتها على الأقل مرتين، فهى بجانبى هى والولاعة والطفاية على الكومود .. جلست في (الليفنج) وارتشفت رشفة من الشاى تلفنى سعادة ما أنجزته من عمل وها أنا سأدخنها مع رشفات الشاى الساخن لأخلد بعد السيجارة الثانية إلى نومى ..

وضعت كوب الشاى على المنضدة ودخلت غرفة نومى لآخذ علبة السجائر والولاعة والطفاية، آه علبة السجائر فارغة وما كان معى من سجائر فقد استُهلكت فى سهرة العمل ولم أتذكر أن أشترى سجائر لليل هذا اليوم

وصباح الغد .. ماذا أنا فاعل الآن، إنها تمكنت منى و استأثرت بى فى ريعان الشباب ولن أتمكن من النوم إلا إذا رضخت لها .. وعلى الفور ارتديت الروب ولففت رقبتى وأذنيّ بالكوفية وخرجت من المنزل لأتلقى صفيرا باردا من الهواء بل بالأحرى من الرياح حتى نزلت إلى الشارع مهزوما معاتبا نفسى ومستصغرا ذاتى وأنا أقول لنفسى ومعنفا إياها بصوت مسموع، ساعدنى فى ذلك خلو الشارع تماما من المارة:

- للدرجة دى يا طلعت قد سيطرت عليك حتى تأمرك بالخروج من منزلك بعد أن استدفأت من برد قد طارت بك قدماك لتدخلك مسكنك منه وها هى تعطى الإشارة لنفس القدمين لتخرجك من ذات المسكن للبحث عنها و قد أغلقت كل أكشاك السجائر و البقالة!

توقفت عن السير وقد رأيتها فى جسد وروح يتحديانى فى صورة شيطان وعندئذ تأهبت للقتال و لم أقل،(يا انا يا هى)، بل قلت أنا من سيقتلك ولا إذلال بعد اليوم. واصلت سيرى باحثا عنها حتى رأيت من على بعد ضوءً لكشك سجائر، ذهبت إليه واشتريت علبة وعدت إلى منزلى ووضعتها بجانب مستلزمات التدخين .. أنظر إليها كابحا جماح نفسى عن غوايتها ممسكا

برقبتها حتى تلفظ أنفاسها مع يقينى أن هذا سيأخذ زمنا ليس بالقصير.

لم أنم هذه الليلة .. تستيقظ زوجتى وتعد لى الشاى كالعادة قبل الإفطار .. لم أشرب الشاى فتلاحظ ذلك وتومئ برأسها تعبيرا عن ملاحظتها لذلك ولكنها لم تتحدث .. بعد وقت قصير أستعد للذهاب لعملى وأغادر فتلحق بى: خد السجاير معاك.

- مش هاخدها.

- مش هتاخدها ليه؟

- عندى في المكتب.

فى العمل عزم عليّ زميل بسيجارة فقلت له إني أقلعت عنها، فيبتسم باستخفاف واستهجان : كان غيرك أشطر يا أستاذ طلعت، ياما ناس بطلوها و رجعوا لها تانى.

- أنا أشطر منهم و مش هارجع لها تانى.

- تراهن يا عم طلعت

- من غير رهان ولا حاجة أنا قادر ومتأكد من عزيمتى

- الأيام بينا يا صاحبى.

زميلى هذا وكل من يدخن لا يريدون أن ينجح مدخن غيرهم في الإقلاع عن التدخين، مثلهم مثل البلداء فى المدرسة!

السيجارة تراودنى كل يوم بل كل وقت وأنا أزداد قوة وعزيمة وثقة بالنفس، لن أعود إليها و كفى ما استأثرت به من أعوام ريعان الشباب.

لاحظت زوجتى إقلاعى عن التدخين فقالت:

- إنت بطلت السجاير يا طلعت؟

- أيوه بطلتها

- طيب ما تشيلها أو ترميها ..

- لا أنا سايبها علشان أتفرج عليها وهى بتموت

- بتموت؟!! هههه

- أيوه مش هارميها إلا بعد ما يطلع النيكوتين من دمى.

- مع إنى باحب أشوفك وانت بتدخن !!

هكذا هى كما كانت ترانى أول مرة والسيجارة فى يدى والعلبة فى جيب القميص. ظلت تراودنى إلى ما يقرب من ستة أشهر إلى أن كرهت رائحتها و رائحة من تنبعث منه رائحتها وأنا ألوم نفسى، هل هكذا كنت أنا؟!

نادما على عشرين عاما من التدخين، إنها عادة سيئة بمعنى الكلمة ولا تضفى على المدخنين شيئا من الشياكة و لا الأناقة، بل تشوه صورتهم.

أعتز بنفسى كل الاعتزاز للتخلص من هذه العادة السيئة التى تخلف لصاحبها المرض والعياذ بالله و سوء المنظر.

عندما تسنح لى فرصة مع مدخن فى تاكسي أو أى مكان أروى له كيف تخلصت من الملعونة، لدرجة أنه فى يوم كنت أستقل (تاكسى) وكان سائقه يدخن فتجاذبت معه الحديث و رويت له الحكاية بتفاصيلها و استفززته، فما كان منه إلا أن مزق علبة السجائر و ألقى بها من السياره و أقسم ألا يعود.

الحمد لله أكثر من شخص أقلع عن التدخين على يدى. رويت هذه الحكاية آملا من الأصدقاء أن يروووها لأحبائهم المدخنين والأجر والثواب لكم ولنا.

غريقة البحيرة

المنظر

تقف باليرينا تطل من تراس على بحيرة ليس فيها حياة، الماء زرقته داكنة راكدة يمتد ليلامس جدار التراس المرتفع عن سطحه أمتارا قليلة .. وجه الباليرينا يتجه نحو البحيرة تنظر لأسفل .. يرتكن بجوارها آلة التشيلو الذى كسر ذراعه .. منشر غسيل مثبت بالتراس وبعض أوتار مثبت عليها بالمشابك ورق طارت منهم ورقة فى طريقها لمياه البحيرة الجرداء الخالية من النوارس.. خصلة من شعر الباليرينا مثبتة بمشبك على الحبل " وتر من الأوتار " يبدو أنه مكان الورقة المتجهة لمياه البحيرة .. سور التراس المطل على البحيرة مكسور منه أحد القوائم الذى يرفعه عن أرضيته .. أمسك الكاتب قلمه وهو ينظر للمنظر من خلف الباليرينا وبدأ يكتب قصة : غريقة البحيرة

قصة

غريقة البحيرة

على أطراف المدينة الصاخبة اختارت الباليرينا الشابة آنذاك و زوجها الذى تعلق وجدانها به عندما كان هو عازف التشيللو فى فرقة الباليه أن يعيشا سويا على شاطئ البحيرة الصغيرة الهادئة فى بيت صغير قد ورثته عن والدتها التى كانت راقصة من الرعيل الأول للباليه العالمى .. تلك البحيرة التى حباها الله بالطبيعة الخلابة لتستقطب الطيور المهاجرة فى مواسمها لتحط على صفحة مياهها الزرقاء أشهر هذه الطيور لتلقب ببحيرة البجع .. البحيرة التى يبعد شاطؤها عن البيت المترامى بعيدا عن جيرانه من البيوت عشرات الأمتار. الهدوء و السكون و صفاء المياه التى تعكس غيوم السماء تدعو إلى صفاء الذهن و النفس و التأمل لتتحد كل هذه الصفات فيتخلق منها الإبداع الفكرى و الفنى. تنظر الصغير من خلال زجاج نافذة التراث المطل على البحيرة تراقب عن كثب و الديها يعزف هو مؤلفاته و

يكتب بروفاتها فى نوتته الموسيقية و ترقص هى على أنغامها وكل منهما يتجه نظره إلى بحيرتهما.
تشاء الأقدار و ينتق لاسويا إلى رحمة الله إثر حادث أليم و يتركا الصغيرة وحيدة فليس لها أخوه لتنتقل للعيش فى إحدى جمعيات رعاية الأيتام و تأخذ حظها من التعليم والرعاية ومن ثم تلتحق بأعرق معاهد الباليه لتكمل مسيرة والدتها وتتخرج منه لتصبح من أشهر الباليرينات، تصول وتجول بين البلدان على أقدم المسارح مع فرقتها التى تجسد أروع الرقصات، وتنال أعظم الشهادات والاستحسان والتكريم الدولى

وبالرغم من كل هذا لم يفارقها صوت عزف أوتار التشيللو و رقص أمها فى تراث منزلهم القديم على شاطئ (بحيرة البجع) فكانت تحرص دائما أن تقضى بعض إجازات نهاية الأسبوع فى ذلك المنزل الذى تجتر منه ذكريات طفولتها السعيدة الحزينة .

تمر الأيام و تجرى الشهور وتتسارع السنين وهى على هذا الحال لا تفكر فى زواج ولا حياة أسرية كالراهبات بل عكفت على أوبريهاتها فكان ذلك هو غذاءها و تنفسها.

يمر العمر ويتقدم السن، ورويدا رويدا تبتعد عن الأنظار فإنها سنة الحياة ..و فى آخر المشوار تقرر أن تترك صخب المدينة لتنتقل إلى البيت القديم المترامى على شاطئ البحيرة التى لعبت العوامل الطبيعية دورها فى تغيير معالم كل شئ كما لعب العمر دوره معها .. كان المد أكثر الظواهر فاقترب الشاطئ إلى حدود المنزل لينحر بخار الماء المتصاعد المشبع برزاذ الملح ليعرى جدران المنزل و تتساقط بعض أعمدة التراث و يترك البجع البحيرة لتصبح بلا حياة.

تتجه الباليرينا بعد أن تستيقظ من نومها إلى التراث تحمل التشيللو الذى لم يسلم من شيخوخة الزمن فلقد تطايرت بعض النوتات الموسيقية التى ألفها والدها و بعض المشابك التى كانت تثبتها على أوتار التراث، و يتجه نظرها إلى البحيرة تلعب أدوار الأم و الأب و لكن هيهات هيهات فقد أتت الرياح بما لا تشتهى السفن فتطير معها أجمل معزوفة لبحيرة البجع .. آه لقد تيقنت الباليرينا أنه بداية النهاية فتقوم بتثبيت خصلات شعرها مكان المعزوفة الخالدة وتنظر للبحيرة و تقول: لن أفارق خشبة مسرحى بعد الآن إلى أن أسقط غريقة صريعة فى بحيرة البجع.

قناة السويس الجديدة

و(فرديناند ديليسيبس)

أثناء حكم محمد على لمصر كان مساعد القنصل الفرنسى فى ذاك الوقت - مسيو ديليسيبس - عرض فكرة ربط البحر الأبيض المتوسط بالبحر الأحمر على محمد على باشا إلا أن الفكرة لم تختمر لديه آنذاك .. وبعد أن تولى(محمد سعيد باشا) حكم مصر عام ١٨٥٤ تمكن المهندس العبقرى ديليسيبس من الحصول على فرمان بالبدء فى المشروع العملاق الذى استغرق إنشاءه عشر سنوات بأيدى المصريين من السخرة مخلفا ٣٤١٠٠٠ من المتوفين سالت دماؤهم وخارت قواهم فى قاع القناة ثم جرفت عظامهم وهياكلهم مع سريان مياه البحرين إلى أن امتلأت القناة لتحمل على سطحها بواخر وسفن العالم لتسرى من الشمال إلى الجنوب لتكون همزة الوصل بين قارات العالم لتنقل وتنشط التجارة العالمية .. مش عايز أسترسل فى نتائج القناة ولكنها قد وهبت مصر ثلاث مدن من الدرر وعلى

رأسهم المدينة الباسلة التى وضعتها الأقدار لتكون فى مرمى العدوان الثلاثى عليها (بورت - سعيد) نسبة إلى سعيد باشا سالف الذكر .. اسمحوا لى أن أخرج عن سياق الموضوع ومن ثم العودة إليه ثانية .. نحن أحفاد القدماء المصريين .. هذه المقولة دائما ما نتغنى بها فى جميع المحافل والمناسبات فهى بالتأكيد فخر وسنظل نفتخر بفرعونيتنا إلى الأبد، ولكن لابد من وقفة مع النفس! هل حافظنا على هذه القيمة؟ الإجابه .. لا

فقد تعرضت مصر لمجموعات من الخفافيش مصاصى الدماء ومعدومى الضمير والنفوس الضعيفة ممن استباحوا لأنفسهم بيع تاريخ هذا الوطن على مر السنين وما زالوا موجودين بيننا .. فلقد نهبت متاحفنا وبيعت آثارنا وما زال البحث مستمرا لامتصاص ما هو مباح من دمائنا لهذه الشرزمة التى تبتغى الغناء الفاحش على جثث المصريين، كل المصريين وتنشط تجارة الآثار لنجد أعضاء أجسادنا معروضة فى متاحف وأسواق العالم يشاهدها البشر من كل صوب وحدب لينظروا إليها بكل احترام وتبجيل لهؤلاء القدماء المصريين، وفى نفس اللحظه ينظرون إلى أحفادهم اللذين يتغنون بأجدادهم نظرة أقل ما أصفها

بـ (الاستخفاف) .. لماذا؟ فعلى رأى المثل الدارج: "القرعة بتتباهى بشعر بنت أختها" .. فدائما ما نرفع أصواتنا فى وجه العالم ونقول: نحن أصحاب حضارة ٧٠٠٠ سنة .. إحنا اللى بنينا الأهرامات، لا لا .. إحنا لم نحافظ على حضاراتنا، لم نحافظ على تاريخنا، فلو كنا على مستوى هذه الحضارة لكنا الآن نردد المثل المعروف: "إن هذا الشبل من ذاك الأسد".

صحيح أن مصر وعلى مر الأزمنة تتعرض لمؤامرات وتخرج منها سليمة بحماية من المولى جل علاه، ولكنا لم نشهد بحلب البقرة كما تحلب مصر .. هل الآثار الصينيه نهبت؟ هل الآثار الروسية نهبت؟ هل وهل .. إنهم الآن هم وغيرهم العظماء!!!

أعود لديليسيبس وقناة السويس.. عندما بدأت مصر فى إنشاء السد العالى كان لا بد من تمويل ضخم لهذا المشروع العملاق .. فاتجهت مصر بقيادة الزعيم جمال عبد الناصر بطلب إلى البنك الدولى لمساعدتها، ورفض البنك هذا الطلب فما كان من جمال عبد الناصر إلا أن أعلن تأميم قناة السويس لتكون ملكا لمصر(القناه ممر ملاحى دولى وكانت بحق انتفاع لمدة ٩٩ سنة)

وعلى إثر ذلك تحركت الدول فى غضبة شديدة بعدوان على مصر وهو العدوان الثلاثى على

"بورسعيد" المدينة الباسلة التى وضعتها الأقدار لتدفع هذا العدوان ليس عنها فقط بل عن الأمة .. فإذا سقطت بورسعيد سقطت مصر .. أحتلت بورسعيد بعد أن حوصرت بالأسطول الفرنسى والبريطانى وبمشاركة إسرائيل .. ثلاث دول يا بورسعيد تقدموا بدبابات وطيارات تملا السما (أغنية لفايدة كامل) ولكن شعب بورسعيد البطل رجالا ونساء وأطفالا كانوا لهم بالمرصاد. وقد حالفنى الحظ أن رأيت الجنود المحتلين بأسلحتهم تحت منزلى عندما كنت طفلا .. وعلى إثر ذلك العدوان، ومن الطبيعى بعد أن تم سحقه أن تحدث ردات فعل تساوى قدر الحدث فما كان من الشعب البورسعيدى إلا أن سحق كل ما كان رمزا لهذا العدوان فاتجه الشباب إلى مدخل قناة السويس حيث كان يقف على قاعدة عملاقة تمثال من النحاس لمسيو "ديليسيبس" صاحب فكرة ومنفذ مشروع قناة السويس. وكانت يد التمثال تشير للسفن بالدخول إلى القناة فيما يعبر عن حسن الضيافة .. حطم الشباب التمثال وطرحوه أرضا وسط تكبيرات بالزهو بالانتصار على

العدوان الغاشم على مدينتهم الحبيبة .. عند هذا الحد فإنه مقبول، أن تحطم رمزا من رموز الاستعمار لأنه فرنسى الجنسية ولكن وبرغم بورسعيديتى التى هى فخر لى فإن هذه فترة وذهبت ونحن الآن بصدد افتتاح "قناة السويس الجديدة، لا بد أن نحاكى العالم المتحضر وهو ينتظر بشغف لهذه الاحتفالية العالمية بأن نعيد تمثال "فرديناند ديليسيبس" إلى قاعدته فى مدخل قناة السويس عرفانا منا بجميل هذا المهندس الفرنسى على وجه الخصوص ودولة فرنسا على وجه العموم لأن ذلك سيكون تعضيدا للعلاقات المصرية الفرنسية من جهة والعلاقات بكل دول العالم.

هكذا يكون التحضر والبعد عن التمسك بكل ما هو ليس ملائماً فى هذا العصر وسيكون له مردود نفسى ومن ثم اقتصادى وفى مقدمتهم حركة السياحة العالمية عموما والفرنسية خصوصا، فعندما تمر السفن فى مدخل القناة ببورسعيد سيخطف هذا التمثال قلوب السياح .. التاريخ لا يشطب و لا يزال .. نظرة العالم لنا ستتغير كثيرا و الاحترام سيزداد ويمكن نقدر نعوض ونحسن مفهوم العالم تجاهنا لما فعلناه بأنفسنا من جراء تشويه آثارنا. رجاء من القيادة السياسية وعلى رأسها الرئيس عبد

الفتاح السيسى والفريق مميش إعادة التمثال إلى قاعدته ووضعه ضمن الاحتفالية بشكل يتناسب مع الحدث .. صدقونى هنكسب كتير.

الكلب أيضا يستحق وفاء الإنسان

فى أحد الشواطئ بإحدى القرى بالساحل الشمالى منذ عدة سنوات كانت ابنتى وزوجها و الأبناء(كريم ومايا) معنا، كانت ابنتى تجلس تحت البرجولة بينما زوجها يداعب الأولاد فى مياه الشاطئ .. الأم تتأمل زرقة وصفاء البحر وعليل الهواء ونسيمه وتنظر إلى الزوج والأولاد مبتهجة بمرحهم ولهوهم وهم يتبادلون رش المياه بعضهم على الآخر .. يجلس على الشاطئ تحت البرجولات المتناثرة عدد قليل من العائلات كل يستجم فى هدوء .. تظهر امرأة من خلف البرجولات قادمة من إحدى الفيلات القريبة من الشاطئ تصطحب كلبا من السلالات الراقية ..تجلس تحت البرجولة المجاورة للبرجولة التى تجلس تحتها والدة كريم

(ابنتى)، تربط المرأة السلسلة الخاصة بالكلب فى العمود الذى يحمل البرجولة ..كريم الابن كان شغوفا بالكلاب شأنه شأن كل الأطفال، وكان لا يتجاوز عمره خمس سنوات .. وما إن رأى الكلب الذى كان يجلس

فى هدوء بصحبة صاحبته إلا وصاح لوالده ووالدته قائلا : كلب جميل كلب جميل.

فالتفتت المرأة صاحبة الكلب لكريم مبتسمة وأومأت برأسها إيماءة رقيقة وقالت للطفل كريم: تعالى يا حبيبى تعالى ..

فرح الطفل ونظر لوالده: أروح يا بابا؟

وكان من الطبيعى أن يوافقه بابا وهو سعيد : روح يا كيمو.

خرح الولد من البحر يتقدم نحو المرأة وهو ينظر إلى الكلب ولسان حاله يقول : أنا عايز أضع يدى عليه ..

وبمشاعر الأم قالت له المرأة : طبطب عليه يا حبيبى.. الأم والأب والأخت ينظرون لكريم فى سعادة وما إن هب الطفل ليضع يده على الكلب إلا وحدث ما لم يكن فى الحسبان .. فى أقل من الثانية كشر الكلب عن أنيابه وعقر الطفل عقرة خاطفة فى صدره محدثا جرحا غائرا بطول ستة سنتيمترات .. يصرخ الطفل وتصرخ الأم على صرخته، هى لم تر عقرة الكلب لكريم لأن ظهره كان بمواجهتها .. الأب والابنة والأم يتجهون نحوه .. الطفل يبكى من الصدمة والألم والمرأة صاحبة

الكلب يجتنفها الذهول: مش ممكن مش ممكن أول مرة يحصل كده .. أول مرة يحصل كده.

تتبدل الجلسة الاستجمامية الرومانسية إلى فاجعة فى لحظة والدماء تسيل من الجرح، الكل يهرع لإنقاذ كريم من عقرة الكلب .. الحمد لله فقد تم نقل الطفل للمستشفى وتقرر علاجه عن طريق الإبر (الحقن) مع التنبيه بعدم نزول الطفل فى البحر ولا حتى حمام السباحة . الإجازة تحولت إلى مشفى بطبيعة الحال ونتيجة الحالة السيئة التى انتابت الجميع فقد اتخذت الإجراءات القانونية التى تدين صاحبة الكلب .. قال الأب لكريم مهدئاً من روعه :

- إنت عارف يا كريم إحنا هنعمل إيه فى الكلب اللى عضك؟

رد كريم قائلا : إيه يا بابا؟

- إحنا هنسجن الكلب ..

انتفض الطفل رافضا: لأ لأ ما تسجنوش الكلب ما تسجنوش الكلب اسجنوا طنط علشان هى اللى تستاهل!! تنازل أحمد سمير والد كريم عن كل الإجراءات القانونية، زارت المرأة صاحبة الكلب الطفل كريم فى الشاليه وقدمت له هدية واعتذرت عما بدر من كلبها .. تقبل أهل كريم الاعتذار .. وانتهى الموضوع .. وكل ما حدث كان قدرا وليس مقصودا .. ولم يذبح الكلب!

من وحى سوسة

سوسة هى مدينة تونسية تقع على شاطئ البحر الأبيض المتوسط غاية فى الروعة والجمال الخلاب الذى يخطف القلوب، وقد حالفنى الحظ أن أكون زائرا طائرا على بساط الريح فى جولة تحت سمائها وفوق شاطئها أنظر لهما وأتلفت من حولي لأرى تلك المدينة الهادئة ذات اللون الأبيض الذى يبعث الأمل والبهجة لناظريه. تتدرج مبانيها من أعلى إلى أسفل يكسوها الخضار الذى تنبثق منه الورود والأزهار ويختلط نسيمها برائحة الفل والياسمين ليعانق نسيم البحر المشبع برزاز الأمواج الهادئة التى تتهادى إلى الشاطئ لتضع قبلتها على رماله وسرعان ما تودعه لتأتى متهادية موجة أخرى حملت حلم سابقتها الذى كانت تأمل بألا تغادر شاطئها ولكنها هى الأمواج التى لا تستطيع أن تبقى على حالها ما دام قد احتواها البحر الذى يأتمر بسيادة الريح يعلو ويهبط مخلفا أمواجا عاتية فى خضمه وموجات هادئة على شطآنه، ويالها من أن تراها على شاطئ(سوسة)!! زيارة حملت ذكريات الطفولة ها أنا أستعيدها وأنا

أسطر هذه الكلمات ولكنها فى الواقع لم تستغرق إلا دقائق معدودة وأنا جالس على التختة فى الفصل بالصف الرابع الإبتدائى بجوار النافذة، التى كانت تطل عليها شجرة الكافور العتيقة من خارج أسوار مدرستى عندما بدأ أستاذ اللغة العربية بكتابة التاريخ على السبورة ثم كتب فى أوسطها (مطالعة).

وكانت حصة المطالعة من أجمل الحصص، حيث يأخذك الموضوع المقرر بالكتاب المدرسى ليدخلك فى موضوع آخر ذي علاقة بسابقه .. ثم كتب الأستاذ على جانب السبورة : من وحى سوسة .. وهنا بدأت همهمة التلاميذ فى استباق تحليل كلمة سوسة وما تحتويه من معان، وقد تخلل هذه الهمهمات ضحكات بريئة تدل على فهم معنى الكلمة.

الكل متحفز فى اشتياق أن يبتدئ الأستاذ للدخول فى الموضوع ثم قال : افتحوا صـ كذا...

وبدأ فى كتابة أبيات قصيدة قال إنها من تأليف الشاعر فلان، وهذا الشاعر كان مدرسا مصريا يعمل فى تونس فى مطلع الخمسينات وقد قام برحلة مدرسية لهذه

المدينة فأخذه جمالها الخلاب الذى طاف بوجدانه وخياله ليقول :

أرأيت سوسة والأصيل يلفها
فى حلة نسجت من الأضواء
أما أنا فلقد أخذت بسحرها
لما وقفت هناك ذات مساء
حدقت فى أرجائها من شرفتى
فعشقت منظر هذه الأرجاء
البحر يبدو من أمامى موغلا
فى الأفق والجبل الأشم ورائى
والشمس تسكب فى الغروب أشعة
حمراء فوق اللجة الزرقاء
هبطت إلى سطح المحيط فنصفها
يبدو عليه ونصفها فى الماء
عزمت عن الكون الرحيل
فخضبت آفاقه بدموعها الحمراء
وهنا على شطآن سوسة يا لها
من جنة سحرية الإغراء

وللقصيدة بقية !!!

كان المدرس يتلو هذه الأبيات قبل أن يشرح معانيها وما تحتويه من استعارات مكنية وما يبوح به خيال الشاعر المبدع .. تدق قلوبنا فى تسارع تارة ليبدأ المدرس فى شرح الأبيات وتارة أخرى متمنية أن تأخذنا الأبيات إلى ما لا نهاية ..وكان هذ الأستاذ له طلة بهية مقنع لكل ما يبدر منه فضلا عن طريقته فى الإلقاء فقد أخذنى على بساط من الريح تخيلت أنه كان معلقا على شجرة الكافور العتيقة التى كانت تطل على نافذة الفصل .. وما إن بدأ فى شرح الأبيات إلا وكنت قد طاف بى خيالى فوق سماء (سوسة) انتهت الحصة وبدأ التلاميذ فى التحرك و التقلقل من أماكنهم وجلست وحدى أتأمل شجرة الكافور متوددا لها أن تمنحنى بساط الريح عندما أطلبه منها ليطوف بى مع خيالى فوق الشطآن أينما كانت ووقتما أريد. لقد كانت قصيدة من وحى سوسة بمثابة الغذاء الذى ترضعه الأم لوليدها حين يخرج إلى الحياة . بحثت عن شاعرها فوجدت أنه من مواليد طنطا فى الأربعينيات، إنه الأستاذ الشاعر / على محمد أحمد وكان يعمل مدرسا بتونس فى مطلع الخمسينيات ..

شكرا لمدرستى / الخليفة المأمون الإبتدائية ببورسعيد..
شكرالأ ستاذى .. شكرا للتربية والتعليم بتاعة زمان.

جشتالت

كانت القوات المسلحة قبل نكسة ٦٧ تعتمد فى تجييش الجيوش على العنصر البشرى الهائل من الجنود فى جميع هيئات الأسلحة بأنواعها وتشكيلاتها وبالأخص سلاح المشاة والصاعقة والمظلات التى من شأنها التعامل مع العدو بالاشتباك وجها لوجه .. هذا طبعا تحت القيادات المتخصصة بدرجاتها .. وكان تجنيد الدفعات ينقسم إلى مؤهلات عليا ومتوسطة ممن هم حاصلون على هذه الشهادات.. والقسم الثالث هم المجندون اللذين يطلق عليهم (عادة)، أى بدون مؤهل، وكانت هذه الفئة هى السواد الأعظم من تعداد الأفراد بالقوات المسلحة، بعد النكسة أدركت القيادة المصرية ضرورة التركيز على تجنيد المؤهلات بمستوياتها لقدرتها على استيعاب التعامل والعمل مع الأجهزة الإلكترونية والأسلحة الكيماوية والاستطلاع إلخ .. فكان من شأن ذلك التفاعل السريع فى استيعاب العلم الفنى العسكرى الذى انعكس على جيشنا العظيم فى عملية العبور المبارك .

وكنت قد جُندت بالقوات المسلحة فى منتصف السبعينيات فى سلاح المشاة الميكانيكى .. وبعد فترة التعليم الأساسى فى مركز التدريب تأهبت الدفعة للترحيل على الوحدات المختلفة ..قبل ترحيلنا بيوم تم جمع الدفعة، التى كانت تمثل ثلاث كتائب وقام القادة باختيار أربعين جنديا كنت من ضمنهم لضمهم على قوة مركز التدريب كقوة أساسية وتم ترحيل باقى الدفعة .. فى نفس اليوم أبلغنا بأننا سنأخذ فرقة صف ظباط معلمين أى نقوم بالتعليم الأساسى للجنود المستجدين .

المعروف أن كل ما ذكر يقوم به الصف ضباط العاملون المتطوعون .. ولكن فى هذا التوقيت صدرت الأوامر بتطعيم القائمين على التعليم الأساسى بمعلمين مؤهلات ليكون من ضمن مهامهم محو أمية الجنود المستجدين (العادة)وعلى أثر ذلك تم إلحاق فرقة صف الظباط (المؤهلات) إلى مدرسة التوجيه المعنوى بألماظة آنذاك لتلقى دراسة عن كيفية محو الأمية للجنود وقد شرفت بمحو أمية ٣٢ جندى .

كانت هذه المقدمة حتى أبين أننى أثناء وبعد هذه الفرقة كنت أتساءل : هى الكتابة قبل القراءة أو العكس ؟ وهذا ما تعلمناه من دكتور متخصص درس فى ألمانيا

كيفية التعليم السهلة التى كانت تتبع فى ألمانيا فى مطلع الخمسينيات وقد رسخ هذه الطريقة عالم نفس اسمه (جشتالت) وتعتمد على تقسيم الطلاب إلى عدة مجالات زراعى - صناعى أو فنى إلخ...

وتعتمد الطريقة على تقديم الصورة للطلاب فمثلا للمجال الزراعى صورة فلاح فى الحقل ويكتب بجوار الصورة (الفلاح يزرع فى الحقل) ثم يقوم المعلم بترديد الجملة مع التركيز على شكلها وعدد وشكل كل كلمة وبعد استيعاب الطلاب لشكل الجملة وما تحتويه من كلمات يقوم المعلم بفصل كل كلمة عن الأخرى وتفريد حروفها فيحفظ بذلك الطالب كل المحتوى : الصورة فالجملة فالحرف ويكون الاستيعاب سريعا جدا.

وقد جعلنى هذا العلم أتساءل ،كيف تعلم رسولنا عليه الصلاة والسلام من سيدنا جبريل مع أنه كان أميا؟ وكنت أختلى بنفسى بعد انتهاء يوم العمل الشاق فى التدريب والتعليم على قمة جبل القطامية مكان مركز التدريب آنذاك وأتساءل مرارا وتكرارا كيف يا رسول الله هذا الإعجاز!! وقد وجدت ضالتى فى قصيدتى:

سبح باسم الله
وافتح كتاب الله
لما الكتاب يتقرا
يبقى الكتاب علم
علم فى صفحاته

جوه الآيات معنى
والمعنى في الكلمات
والكلمة لها تشكيل بالكسرة والفتحه
والمعنى يتغير م الكلمة للكلمة
حتى وإن كانت كلمة شبه كلمة
هى الكتابة سابقة
واللا القراية لاحقة؟
ماهى واضحة في القرآن
لما الملك جاله وهو جوه الغار
قال له الملك اقرأ
مع إنه كان أمى
سأله الرسول جملة فيها تلات كلمات
رد الملك أمره أمره تلات مرات
إقرأ بإسم الله
وكانت الأولى فى فاتحة كتاب الله

والعلم جه بالقلم
من ربنا الأكرم
لكل جنس البشر
عالم ولم يعلم
وحيك نزل ع النبى
من السور إعجاز
الفاتحة بدأت بيها
وبتنتهى بالناس
قادر يا رب الكون تهدى بيها عبيدك
اللى اتخلق من طين
وأى شئ تأمره
وتقول له كن فيكون

الميةّ والنار

خلق الله آدم من طين وإبليس من النار، "وخلقنا من الماء كل شئ حى"، الحياة متى وُجد الماء تستشرى فى أرض الله .. أبحاث تجرى على ظهر المريخ لأنه قد اكتُشف وجود آثار للماء .. أينما يتساقط الماء وجدت الحياة و ليس بالضرورى حياة الإنسان و الدواب ولكنه من المؤكد للزرع أن ينبت أيا كان نوعه وشكله .. ينحدر الماء على الصخور تخضر .. حتى أننا نجد بعض الخضرة وقد أنبتت فى بعض جدران المبانى بسبب نشع المياه .. نعمة لا نستطيع العيش بدونها كالهواء .. من الأقوى ممن الماء أم النار؟ الماء رمز الحياة واستمرارها والنار رمز الفناء وتلاشى كل أشكال الحياة، نبات جماد حيوان .. إلخ.

اللهم بحق الأيام الفضيلة المباركة أن تحرم أجسادنا على النار وأن تكرمنا فى مماتنا وأن تتم نعمتك علينا بأن نغتسل بالماء والبرد لنقابل وجهك الكريم ونحن فى طهارة نفس ولا تخزنا يوم العرض عليك.
تأملت فى خلق الله من نعم وإبداع .. طبيعة تصميم

جمال، وأيضا عوامل هذه الطبيعة حين تغضب و تثور وتنتج الكوارث فكل شئ بأمر الله وهو قادر عليه فللطبيعة توازن هو يعلمه .. كانت هذه مقدمة بسيطة لقصيدتي :

الميه والنار

بابدأ كلامى بذكر الله الواحد القهار
وبالصلاة على النبى محمد المختار
مهما حصل فالكون بطبيعة الأقدار
زلزال يكون وعواصف
أو اشتعال النار
وسيول بتكنس بلاد
وجبال جليد تنهار
وفوهات براكين
سال الحديد منها
على الجبال أنهار
دى الميه أصل الحياة
فيها الخلود والنجاة
وهى أصل الطين

آدم اتخلق منه
ومن النيران شياطين
وفي الكتاب براهين

للأولين جنات
بيطوف لهم فى كاسات
شرابهم من معين
و الآخرين هيهات
شاربين شراب الهيم
ذكر المياه سابق
عن النيران لاحق
و الجنة قبل النار
وبتجربة بسيطة
لو جبنا قطعة تلج
وياها جمرة نار
التلجة راح تنهار
من جسم إلى ميه
تروح على الجمرة
وتطفى بيها النار

ارحمنا يا رحمن
واكتب لنا الجنه

واكفينا شر الشيطان
اللى اتخلق من نار
و اللى مصيره ليها
وزمرته الأشرار
بانهى كلامى بذكر الله

الواحد القهار
وبالصلاة ع النبى

محمد المختار

وشهد شاهد

أحرص دائما فى كل الندوات والأمسيات عندما أصعد لإلقاء بعض من أشعارى أن أقدم نفسى : أنا فلان من بورسعيد وعضو صالون الشروق الأدبى ذلك بعد أن تقدمنى المنصة، والآن مع الشاعر طلعت العسيلى، فحقيقة أشعر باستحسان يرضينى عندما أذكر مدينتى، بلدى و جذورى التى أعتز و أفخر بها.

بالأمس كنت مدعوا فى توقيع ديوان لأحد الشعراء المحترمين فى مؤسسة بنت الحجاز الثقافية وقبل دخولى القاعة يقف على بابها السيد الأديب نائب رئيسة المؤسسة مع الشاعر المحتفى به وعدد من أصدقائه الشعراء فى سن ما قبل الأربعينيات ومعهم صديق آخر من جيلى .. عندما اقتربت لأهم بالسلام قال مدير الدار: أهلاً أهلاً وقام بتعريفهم عليّ أستاذ طلعت من بورسعيد وبدأنا بالمصافحة وعندئذ تقدم صديق الشاعر الذى يكبرنى بسنوات معدودة ليدنو منى وجها لوجه موجها نظره فى عينى بما يشبه التحفز قائلاً بصوت مرتفع : إنت من بورسعيد؟

وهنا أدركت أن مواجهة من أى نوع ستحدث، فأجبت بنفس النبرة منتظرا تصعيدا ما فربما يكون فكره مشوش أو متأثرا لسبب يرجع لمأساة الشهداء اللذين سقطوا بيد الغدر فى الاستاد .. تقدم الرجل منى أكثر وعيناه حادتان وبشكل غير متوقع يؤدى تعظيم سلام (التحية العسكرية) فى مفاجأة اهتز لها بدنى و قد فرت دمعة من عينى .. هو بالطبع لم يؤد التحية لشخصى لأنه لا يعرفنى ولكنها لبورسعيد، وهنا أدركت أنه بلدياتى يعيش بالقاهرة فقلت له : إنت بورسعيدى بقى؟ فى هذه اللحظة اغرورقت عيناه بالدموع متأثرا بدموعى وقال: لأ مش بورسعيدى، بورسعيد دى بلد الأبطال هى اللى دافعت عن مصر فى العدوان الثلاثي واتحملت الاحتلال وضرب الطيارات والدبابات و القنابل، أنا كان أبويا فى الفترة دى بيخدم هناك وكان عندى ست سنين وكانت الأسرة معاه، أنا شفت بعينى الشعب البورسعيدى رجالة وأولاد و ستات وهو بيقاوم، المحتلين اللى ماسكه غطاء الحلة واللى ماسك إيد الهون، واسترسل الرجل فى مظاهر الدفاع و الاستبسال المنقطع النظير وقال لو بورسعيد كانت

وقعت كانت مصر كلها هتقع وعشان كده جمال عبد الناصر كان بيحتفل بعيد النصر فى بورسعيد.

طبعا كنت مزهوا وأنا أستمع لهذا الوصف من واحد غير بورسعيدى، وطبعا هذا لا يقلل من شأن محافظات مصر كلها فكل الناس خير وبركة والجدعنة والنخوة موجودة فى كل مكان .. قلت له : كانوا عايزين يعملوا فتنة بين بورسعيد ومصر كلها، لاعبين على عواطف و أحزان وأشجان الناس بسبب الحادثة إياها، قال: كذابين و.....

تحياتى واحترامى لشخصك الكريم ولأمثالك أصحاب العقل والرؤية السليمة.

أهلا رمضان

ينتابنى ويخالجنى، كما أعتقد أنكم كذلك، شعور بأنه كلما مرت تلك الشهور والأيام منذ أن ودعنا رمضان الماضى وكلما اقترب وبدأ يدنو منا لنستهله من جديد مع تسارع نبضات ودقات قلوبنا، فها نحن نعيش هذه الأيام المباركة فى رحاب شعبان وكلنا شوق وشغف لرؤية أكرم الشهور الذى اجتمعت سائر شعوب الأمم الإسلامية على محبته ..

أعود بكم لما يخالج نفوسنا، إننا وعلى مختلف أجيالنا نشعر ونتمنى أن يعود بنا الزمان فى نفس المكان الذى كان كل منا يعيش فيه فى طفولته أو صباه أو شبابه .. يا لها من أيام! وقت أن كان الوئام والسلام يشعان فى كل حى ومنطقة وشارع وحارة، كان ملء وجوهنا الابتسام والرضا، فبمجرد نظرة أو إيماءة من جار إلى جاره لأول عابر طريق غريب ليس من أهل الحتة ساقته قدماه ليمر منها ويتلفت يمينا ويسارا ويومئ برأسه لمن مر عليهم إلا وكانت نفس الإيماءة من ناظريه وكأنما تحمل فى طياتها عبارة رد السلام اتفضل اشرب شاى

كنت أشعر أن بعض الأشخاص الذين ليس لهم علاقة بأهل شارعنا يتعمدون رسم خط سير ليس له علاقة مرور لذهابهم وإيابهم، إنه ليس إلا ليمروا ويومئوا برؤوسهم ويبتسموا فى بشاشة لينالوا قدرا من الاحترام المتبادل .. هذا هو كما نقول دائما...

(الزمن الجميل) الخالى من كل ماهو غير جميل .. فى وسط هذا الشعور الجميل ومع اقتراب شهر رمضان المبارك كانت تبدأ الاستعدادات البسيطة فى أدواتها الجميلة فى فحواها ومعناها والتى كانت تؤجج مشاعرنا وخوالجنا أن مرى مرى يا أيام ياللا تعالى يا رمضان ويالك فى موطنى ومسقط رأسى بورسعيد الحبيبة .. فكان لكل (حته) أى منطقة أو شارع وحارة (فتوة الشارع) هو الذى يبدأ فى إعداد مظاهر الاحتفال بالشهر الكريم، وكانت متعددة، لكن من أهم المظاهر التى- وللأسف الشديد قد اختفت - السبيل (مصنوع من الخشب على هيئة سلالم البيت المتدرجة ست أو سبع درجات، فى الأعلى ما يشبه منبر المسجد، عليه هلال، يوضع على درجاته القلل، وبجانب السبيل زير مملوء بالماء المعطر بماء الورد ويوضع على الدرجات أطباق مملوءة بالتمر وتملأ هذه القلل من ماء الزير .. تتنافس

كل حارة على تزيين وتلويين سبيلها الذى امتدت إليه أسلاك معلق بها لمبات الإضاءة ذات الألوان الزاهية .. كل أولاد الشارع يساعدون القائد (الفتوة) فى إعداد كل شئ .. شرف رمضان ضرب المدفع،لا يصعد أولاد المنطقة للإفطار قبل رشفة ماء من القلل .. كل طفل يعلم ويحب قلته التى علمها وتعرف عليها من أول يوم ..السبيل، وهو عادة من أيام الفاطميين على حسب اعتقادى، هو للمارة اللذين لم يتمكنوا من العودة لمنازلهم قبل الإفطار.. يركنون بجانب الأسبلة المنتشرة ليلتقطوا التمر ويشربون الماء المعطر .. آه آه يا حبيبى يا شهر الصيام.

ومن أهم المظاهر والعادات والتى كانت تترجم جمال السماحة والمحبة والبهجة والفرحة بالاحتفال بالشهر المبارك هو(وحوى يا وحوى) أن نحوى على بيوت الجيران فكلنا معروفون لهم .. نصعد فى مجموعة بسيطة كمندوبين عن أولاد المنطقة لبيت فلان أو فلان بالفوانيس الجميلة المصنوعة من الصفيح الملون ذات الباب الذي يفتح و له قفل بداخله شمعة و تتدلى الفوانيس التى أمسكت بها أناملنا لتستقبل لهب شعلة الشمعة لتستقبل يدانا بالتناوب الفانوس للتخفيف من

حرارة الشمعة، ولكنها يا لها من حرارة مستساغة ومحببة إلينا..

ونقف أمام بيت الحاج أو الحاجة أو أم .... وحوى يا وحوى، ليفتح أصحاب البيت وكلهم سرور مبتهجين كل سنة وانتوا طيبين يا ولاد خدوا العادة.

ما لذ وطاب من أنواع (الياميش) هو موجود عند معظمنا من الأولاد البنات لكن له طعما آخر عندما نقوم بتجميعه وتوزيعه علينا .. كل بيت نمر عليه يكون له تحية خاصة بمقدار عطائه لنقول : ملبسة على ملبسة صاحبة البيت ده كويسه .. تتكرر هذه التحية مرتين أو أكثر بحسب مقدار العطاء.

كل سنة وحضراتكم بألف خير، عشت معكم فترة جميلة من الزمن الجميل فى نفحات رمضان .. اللهم بلغنا إياه ونحن جميعا بخير، وأتمه علينا بخير وكل عام وأنتم بخير ..

زواج خيالي من ابنة السفير

متيم بالنباتات أينما وجدت منذ نعومة أظافرى، فها هى والدتى تضع حبات الحلبة على قطنة مبللة فى طبق صغير وتحثنى أن أراقب عن كثب إنبات تلك الحبات يوما بعد يوم و جذر يتشبث بالأرض الافتراضية و وريقتان حملهما ساق يكاد أن ينثنى من ثقلهما .. تعودت عيناى على النظر للنباتات والشجر و التفحص فى تفاصيلها الدقيقة.

فى حلوان حيث هاجرنا من بورسعيد توجد الحديقة اليابانية التى كنت أرتادها باستمرار بمفردى حيث لا أصدقاء لى، فكل طفولتى و صباى وأصحابى قد تركتهم ببورسعيد و لا أعلم إلى أين رحلوا فى هجرتهم.

النباتات النادرة بالحديقة تدعو إلى التأمل فى خلق الله ، فهذا نبات البامبو الذى تصل عيدانه إلى عشرة أمتار، وهذا نبات الصبار بأشكاله البديعة تنبثق من بين أشواكه أزهار " مختلف ألوانها .. "علمت أن حديقة الحيوان مليئة بالنباتات والأشجار النادرة فذهبت ذات يوم و تجولت بها و قد أسبَت عينى تلك المخلوقات الساحرة،

و من أجملها هذه الصبارات بجوار بيت الزواحف و كانت فى غاية التنسيق الذى أضفى جمالا على جمالها، اليوم كان شبه خال من الزوار إلا من بعض القليل و نحن على مشارف فصل الربيع .. الأزهار تنبثق من بين الأشواك تشدنى و تراودنى أن ألامسها، و بينما أقف أمام هذا السحر أشعر بأن أحدا ما اقترب من يمينى ووقف على بعد مترين يراقبنى، لم أشأ أن ألتفت كى لا أنفصل عما أتى فيه ، ولكنه يقترب منى ويكاد يلامسنى، و هنا التفت، آه و آه و آه !! أهى ملاك يا ربى ؟ يحدق فى و فيما أنظر إليه ، تبتسم ابتسامة رقيقة ولسان حالها يقول لى هل الجمال يفعل هكذا بناظريه؟ أجيبها بإيماءة، نعم فقد أخذنى جمال الصبار و لم يأب أن يتركنى إلا لجمالك يا ملاك .. إنها تلك الفتاة الأوروبية التى يدعو جمالها أن تنظر لها ولا تقترب منها .. بالإنجليزية المتواضعة جدا : إنت مصرى؟ نعم من بورسعيد على شاطئ المتوسط، وأنت؟ من تشيكوسلوفاكيا .. هنا تسمرت العيون كل فى الآخر للحظات طافت بالخيال هناك بموطنها حيث الريف الأوروبى والبيت تحضنه الحقول الخضراء وخيل وبقر

وطيور منزلية تلهو فى ينبوع ماء وأرانب تأكل الحشائش، و طفلان يقولان (فاذر) و (ماذر).

ذكرى عميقة ظلت فى الوجدان حتى بدأت فى كتابة أشعارى فكانت هذه القصيدة التى وجدت فيها ضالتي :

لحظة فراق قاسي

قلت امّا اجمع أفكارى

لأبياتى اللي هاكتبها

ف قصيدة من أشعارى

فيه واحدة ناسيانى

أو لسه فاكرانى

مع إن غيرها كتير

كانوا هايمانين .. دايبين

يتمنوا لحظة لقا

أو نظرة فيها الرضا

بس المكان اللى كان

في القلب مش فاضى

ومسكت ورقى و قلمى

ورتبت أفكارى

و قلت أبدأ بلحظة

تأثيرها كان في القلب

ينبص بدق الحب

لما لقيتنى باتوه

ساعتها رحت عليها

من غير ما أعرفها

ولا هى عارفانى

وفضلت ابص لها

و هى باصه لى

مكسوف أكلمها

لـ يبان على خدودها

خجلها و كسوفها

نفس الخجل جانى

وفضلت أبص لها

وهى باصه لى

لكن قرينا ف بعض

إن أنا حبيبها وهى حابانى

كل الكلام اتقال

والدمع منا سال

طلعت منديلى

يمسح دموع عينى

و دموعها هى كمان

على طرف منديلها

فجأة ظهر شخصين

أبوها و أخوها

فضلوا يناقشوها

بصوا لى و ابتسموا

خدوا منى منديلى

وادونى منديلها

لحظة فراق قاسى

والقلب مش ناسى

إن الحكايه ما خديتش

من الزمن ساعة

لما ظهر حارس

بجهاز وسماعة

سمع الكلام منهم

وبص في الساعة

ضحك في وشى وقال

بكل حنية

دول أصلهم سياح

هيئة سياسية

والوقت عدى وطار

رايحين على المطار

لحظة فراق قاسى

والقلب مش ناسى

إن الحكاية ما خديتش

من الزمن ساعة

لما ظهر حارس

بجهاز وسماعة

معلش يا جماعة

مش قادر استرسل

في قصيدتى واكتبها

ما هى الحكاية انتهت

من قبل ما اكتبها

ثم قال لى الحارس: يا كابتن يا كابتن أنا شايفك بقى لك ساعة ماشى مع الجماعة في الجنينة .. قلت له آه إحنا اتعرفنا على بعض، فقال لى: إنت عارف مين دول؟

- أيوه دول سياح من تشيكوسلوفاكيا.

- فعلا، بس عارف إن ده السفير التشكوسلوفاكى؟

- بجد؟

- آه ومدته فى مصر انتهت وبيودع مصر ودى آخر جولة ليه، وهنروح ناخد مراته و نطلع على المطار !! فى لحظة فراق قاسى .

أستنشق الخبر

وجهت نظرها للسماء وهى تسند ظهرها على سريرها، حيث كانت تقيم فى تلك الفترة عند الأخ الأكبر وقد تجاوزت التسعين بعد أن تمكنت منها الشيخوخة والوهن وقالت :

واقف على بابكم أستنشق الخبر

و القلب يدعونى والشمس والقمر

أشكو إليك أمورا أنت تعلمها

مالى على حملها صبر و لا جلد

و لقد مددت يدى بالذل مفتخرا

إليك يا من مددت يدى

فلا تردنها يا رب خائبة

و بحر جودك يروى كل من ظمأ

يا من أقمت السطيحة والشامخ العالى

ما بين طرفة عين وانتباهتها

يغير الله من حال إلى حال.

كانت دائما ما تتلو علينا منذ نعومة أظافرنا الأمثال والأقوال المأثورة وبعض أبيات من قصائد، أما هذه القصيدة "أستنشق الخبر" فقد تسارعت دقات قلبى وارتجفت مشاعرى وأنا أمسك بيدها النحيلة الناعمة واليد الثانية تمسك بمنديل ورقى تلتقط، تجفف دموعها فور فيض العينين .. يا الله .. كيف لك يا أمى تلاوة هذه القصيدة عن ظهر قلب!!

ارتسمت على وجهها بسمة رقيقة وضمت شفتيها وقد عاد بها الزمان ثمانين عاما، ثم قالت: كانت الأبلة بتديهالنا فى المدرسة!!

الله عليكِ يا أمى "ست الحبايب يا حميدة" فهكذا كنت أسمع أغنية فايزة أحمد معتقدا أنها غُنيت خصيصا لها.

أمسكت بقلمى وبورقة وطلبت منها إعادة القصيدة فأعادت إلقاءها وكتبتها ..

بحثت عن صاحبها لأجد أنه "الإمام الشافعى" رضى الله عنه. انتقلت إلى الرفيق الأعلى ٢١ / ١٢ / ٢٠١٢ بعد اللقاء بشهر.

رحمة الله عليكِ يا أمى يا "ست الحبايب يا حميدة"

استدع ماضيك

كل منا على مر الزمن منذ أن بدأ القطار فى الانطلاق لرحلة الحياة، لا يعلم أين ومتى ستنتهى، ولكنها ستمر حتما وتتوقف للحظات فى محطة من المحطات ثم يعاود القطار منطلقا ليستكمل مساره للتوقف فى المحطة التى تليها، وما بين هذه المحطة وتلك نتذكر، بل ونستدعى ماضيا قد تركنا، ولكننا لم نتركه، فنحن الذين مررنا عليه، ولو كان بأيدينا

ما كنا لنمر، فالقطار لا يعود للخلف ولا بد أن يستكمل المسيرة فى رحلته - أين ومتى ستنتهى؟ "ولا تدرى نفس ماذا تكسب غدا، ولا تدرى نفس بأى أرض تموت"، ونعم بالله الباقى فلا شئ على ظهر البسيطة باق، فلنستدع ماضينا من كل محطة مررنا عليها، حتى ولو كان أليما، فالطبيعة ليست ثابتة، فرياح تهب وضباب يكتسى وشمس تسطع وأمطار تهطل و مياه تتجمد وحمم تقذف وليل يأتى يتبعه نهار وفصول تودع بعضها البعض .. تذبل الأزهار وتتساقط الأوراق من على الغصون و سرعان ما تنزل الأمطار لتملأ الشقوق

فتبتل الأرض لتنبت زرعا جديدا، ليستقل القطار ويمر ثانية على محطات الحياة، لتكون النهاية التى كان لها بداية.

و استدعاء الماضى بمحتواه حتى وإن كان به الكثير من الآلام، إلا أنه يحمل فى طياته بعضا من الذكريات الجميلة وإن قلّت، فمن شأنها أن تأخذنا وتحلق بنا فى عنان السماء، نطير معها و تتسارع دقات القلوب من خشية الهبوط إلى أرض الواقع .. و لكنها طارت حلقت فابتسمت و عادت لتستمر الحياة من جديد إلى ما شاء الله و إلى أن يشاء الله.

فلنبتسم مع لحظات جميلة قد مرت فى حياتنا .. زهرة الصبار تنبثق من وسط الأشواك و يالها من زهرة جميلة رائعة ننظر إليها فتسبى الأعين وتمتع أبصارنا، لنتمتع بنعنة الحياة .. و لنحمد الله على رزق أخذنا إياه .

احمل ذاتك

كم يتوق الكثير منا بل معظمنا وربما كلنا للعودة إلى فترة ريعان الشباب والصبا بل الطفولة .. و لأن هذا غير منطقى

ومستحيل لأنها سنة الحياة وحكمة الخالق فى كونه، إلا أن الإنسان يتخيل بعقله الباطن وذكرياته العميقة أنه فى لحظات نتيجة لموقف ما قد رجع به الزمن إلى مبتغاه الخيالى غير المنطقى، ومن أمثلة تلك اللحظات، عندما تحمل طفلاً - حفيدك كان أو ابن أخيك أم لصديق - فها هى لحظات السعادة التى تعود بك للذكرى العميقة، وما إن التقفت ذلك الطفل من تحت إبطيه واقترب جسده لحضنك و اختلط شهيقك مع زفيره إلا تشعر أنك تحمل ذاتك فى هذه اللحظة الحميمية .. ذلك طبعا دون أن تدرى ولكن لنعتبر أن هذه منحة من الله سبحانه و تعالى و هبها لك، فإذا كانت شخصيتك متزنة و تتمتع بالقرب من الله شعرت بجمالها وحلاوتها، و قد يصفك البعض بأن "حنين " .. أما إن كنت غير ذلك وبشكل نسبي فقد تختلف عن هذا أو ذاك، و هنا لن تصلك تلك اللحظة الحميمية وتكون أحاسيسك شبه فاترة ذات بخل فى

المشاعر .. تلك الأحاسيس قد تترجم علاقتك بأسرتك و عائلتك وأولادك وزوجتك، مما قد يترتب عليه الشعور بـ " الجفاء "، و الشعور بالجفاء إحساس محبط لا يوفر جو السعادة و الرضا النفسى لدى المحيطين بك كرجل أو امرأة .

و الإنسان يستطيع تغيير أحاسيسه إذا أراد، فترويض نفس الذات على ما، هو أفضل و أنفع أسهل من ترويض نفس غير ذاتك .. فمثلاً كلما استطاع الإنسان كبح جماح ذاته عن كل ما هو مضر لها كلما كان شخصا متزنا عقلانياً، يتمتع بكل المشاعر الإنسانية غنيا غير بخيل فى عطائه الوجدانى العاطفى الحميمى .

الكاتب في سطور

- طلعت العسيلى، شاعر وكاتب من بورسعيد.
- له ديوانان عامية (قيود من ذهب و سكون الليل بيتكلم).
- عضو دار الأدباء
- عضو الصالون البحري ببورسعيد
- عضو مؤسسة بنت الحجاز الثقافية
- عضو مؤسسة سلوى علوان الثقافية
- عضو ملتقى الأستاذ بالأوبرا
- نال العديد من شهادات التقدير المحلية والعربية
- شارك بأشعاره في مؤتمر السلام والتسامح الدولي (القاهرة).

الفهرس

المقدمة	٥
زيارة للحبيبة بتصريح من المخابرات	٩
العام – ١٩٧٣	٢٢
جِنية في بحر العيون	٢٥
سبحانك يا رب لو أني رأيتها بمفردي ما كنت لأرويها	٣٢
تحية واحترام	٣٦
استأثرت بى عشرين عاما و فى لحظة قتلتها	٤١
غريقة البحيرة	٤٧
قناة السويس الجديدة و(فرديناند ديليسيبس)	٥١
الكلب أيضا يستحق وفاء الإنسان	٥٧

من وحى سوسة ٦٠

جشتالت ٦٥

المية والنار ٧٠

وشهد شاهد ٧٤

أهلا رمضان ٧٧

زواج خيالي من ابنة السفير ٨١

أستنشق الخبر ٩٠

استدع ماضيك ٩٢

احمل ذاتك ٩٤

الكاتب في سطور ٩٦